

لقد رفضت الأشكال الأخرى للاستعمار الاستيطاني أيضا للجوء الى عمل السكان الأصليين . فعندما فشل مستوطنو الولايات المتحدة الأوروبيون في فرض العمل الزراعي على الهنود الأمريكيين ، لجأوا عوضا عنهم الى استيراد العبيد من أفريقيا ، وقاموا بالمجازر ضد السكان الأصليين ، دافعين بالبقية الباقية منهم الى معسكرات الاحتجاز . ومرة أخرى ، في استراليا ، لم يستغل السكان الأصليين البدائيون من أجل العمل ، بل استئصلوا فعلا بواسطة المذابح التي دبرها المستوطنون البريطانيون\* . ولكن في حالات الولايات المتحدة واستراليا ، وحالات دموية أخرى كثيرة في الإبادة والاستئصال تدمغ تاريخ الكولونيالية الغربية ، فان جعل المستوطنات مربحة تطلب ان لا يستخدم المستوطنون العمل المحلي ، لان مقاومة السكان المحليين ، أو عوائل أخرى ، جعلت تكيفهم مع دور العبد أو المستخدم باهظ الثمن أو غير عملي على الإطلاق .

تتميز الصهيونية برفضها استخدام العمل « الوطني » في فلسطين عندما كان استخدام العمال العرب ، لا المهاجرين ، مربحا أكثر . لقد كان الفلاحون الفلسطينيون مزارعين مهرة ، على عكس معظم المهاجرين من أوروبا المدنية ، وكان من الممكن استئجارهم بأجور أقل . ولأجل ذلك فان مزارع رابطة الاستيطان اليهودية الفلسطينية ( بيكا ) ، التي كانت مدعومة من قبل مبرة البارون ادموند دي روتشيلد منذ ١٨٨٢ ، قد استخدمت دائما العمال العرب وحتى العشرينات من هذا القرن . ولم تقتنع هذه المزارع باستخدام اليهود عوضا عن العرب الا بعد ضغوطات كبيرة من الاتحاد العام للعمال اليهود ، الذي وصل تحريضه الى حد طلب تدخل البوليس في مناسبة واحدة على الأقل ، وبواسطة السياسة المنهاجية للوكالة اليهودية في اقامة مستوطنات للعمال بالقرب من مزارع رابطة الاستيطان اليهودية الفلسطينية والأصرار على استخدامهم . وفي عام ١٩٣٠ ، أعلنت سلطة من الوكالة اليهودية ان « نقل العمال اليهود الى القرى القديمة [ مزارع رابطة الاستيطان ] كان مصدرا لشغل الهيئات التنفيذية الصهيونية الشاغلة ، التي نجحت مؤخرا في تثبيت حوالي ٦٥٠٠ عامل في هذه المراكز . . . » (٤) .

لقد كانت أسباب الصهيونية للاستهانة بمبدأ الربح في الاستخدام أسبابا مأكرة وسياسية . وقد كتب دافيد بن جوريون بعد ذلك بعقود قائلا « ان السبب في انتصار العمل العبري [ أي مقاطعة العمل العربي ] خلال الهجرة الثانية [ ١٩٠٤ — ١٩١٤ ] وفترة الانتداب يعود الى ان كل صهيوني ملتزم قد فهم انه بدون العمل اليهودي لن يكون هناك دولة يهودية » (٥) . ولن يكون ممكنا ايجاد أعمال للمهاجرين اليهود الجدد الا باستبعاد العمال العرب الفلسطينيين من الاستخدام على الأراضي التي يكتسبها الصندوق القومي اليهودي والمشاريع التي يملكها صهاينة ، ولا يمكن تحقيق مستوى معيشة عال بشكل اصطناعي للعمال اليهود الا بمنع مزاحمة العمال العرب — مستوى معيشة ضروري لجذب المهاجرين المعتادين على مستويات الاستهلاك الأوروبية والاحتفاظ بهم . ( عام ١٩٣٦ ، على سبيل المثال ، كان معدل دخل الفرد اليهودي في فلسطين { { جنيتها فلسطينيا ، ومعدل دخل « غير اليهود باستثناء الأشخاص البريطانيين في الجيش والحكومة » ، أي في الواقع دخل العربي ، ١٧ جنيتها فقط (٦) \* \* .

\* خلال فترة وظيفته الطويلة ، كان للورد بلفور ، صاحب الاعلان المشهور الذي وعد برعاية بريطانية لوطن قومي يهودي في فلسطين ، ضلعا أيضا في شؤون استراليا وجنوب افريقيا . وبالنسبة لبلفور فان حقيقة ان السكان الاستراليين الأصليين قد « انتهوا » كانت ظاهرة مألوفة وهي ، كما قال ، « حتى لو اتهمت بالتجرد من الانسانية ، نانتني لا أستطيع ان أجد لها في قلبي للقاسف عليها » (٣) .

\* كان الجنيه الفلسطيني يعادل الجنيه الانكليزي ، ويساوي في هذا الوقت حوالي ٥ دولارات امريكية .